دفاعاً عن مبدأ لا عن أشخاص

مشاهدات

عصمت الموسوي
esmato5@hotmail.com

في القضية المرفوعة قضائيا ضد احد زملائنا الصحفيين بسبب نشره مقالا ينتقد فيه أداء وفكرة ومعالجة أحد المسلسلات المحلية التي عرضت في شهر رمضان الفائت، ثمة حقائق يجدر التطرق اليها، فالمسلسل لقي بعض الاستهجان من «المحافظين الدائمين» في مجتمعنا والذين يفزعهم دوما نشر الغسيل غير النظيف اكثر مما يفزعهم الواقع الذي يحبذونه مستورا امتثالا للحديث الشريف «واذا بليتم فاستتروا».

لكن الاختلاف والجدل بين عوّام الناس تركز على مادة المسلسل نفسها كونه يتطرق الى عالم الدعارة الذي لم يخلُ منه اي مجتمع منذ بداية التاريخ والى يومنا هذا، وثمة من رأى ان توقيت عرضه – لا المسلسل بحد ذاته – غير ملائم لرمضان تحديدا، آخرون وجدوا ان شحنة الاعمال الفنية وندرتها وتركيز القليل منها على قضايا متوارية ومسكوت عنها يعطي انطباعا عاما وسيئا وغير دقيق عن المجتمع البحريني، وهكذا، لكن ان يأتي مقال صحفي لكاتب يشتم فيه مؤلفة العمل صراحة ويتطاول على اخلاقها ويلمح الى اصلها وفصلها ونسبها ويذهب الى حد محاكمة نواياها ودوافعها «الاصلية» لانتاج هذا العمل، بل ويصر ويدافع عن موقفه ورأيه حتى عندما تعتذر الصحيفة نيابة عنه محبذا دخول السجن على التنازل او التراجع او الاعتذار، فنحن هنا امام قضية جديرة بالمناقشة لكونها تتزامن ايضا مع توقيت عرض قانون المطبوعات والنشر «ابو الحبس» امام المجلس النيابي، وهو قانون طال امد الاعتراض عليه في محاولة لتخليصه من بنود التضييق والتقييدات والحبس، وها نحن امام صحفي يستبق الموافقة عليه ويشير الى الحبس قبل تطبيقه.

وكنت قرأت المقال ووجدت فيه إساءة شخصية بالغة لصاحبة العمل وممثلته ومنتجته وهي اساءة من السهل ان تجر كاتبها الى المحاكمة القانونية، وهي تشكل انتهاكا صريحا لكل مواثيق العمل الصحفي في اي مكان في العالم وليس في بلدنا فحسب، ناهيك عن انها تُعد مسيئةً حتى وفق الاعراف الاسلامية التي تشترط الادلة المادية الملموسة والشهود الثقاة في مواضيع مثل هذه الاتهامات وغيرها، وقد سمعت عن المقال قبل ان اقرأه في احد مجالس رمضان حيث كان حديث الناس.

واذا كان عامة الناس يحددون مواقفهم من الاعمال الفنية والادبية ويرفضونها او يقبلونها، يهاجمونها او يدافعون عنها استنادا على وسائل واساليب «تشخصن الامور» وتفتقد السلامة القانونية والموضوعية، لا ترى في تجريح الاشخاص وكيل التهم للآخرين عيبا ولا خطأ سواء وفق العرف الاجتماعي او القانوني او الانساني، اقول ان يأتي ذلك من العامة فتلك مصيبة تنم عن نقص وتدنٍ في الوعي والتهذيب الاجتماعي، لكن ان تصدر عن صحفي فالمشكلة اكبر، اذ يفترض انه المهني العارف بالحدود القانونية واللياقة الصحفية وشرعة حقوق الانسان وكرامته والتي لا يجوز انتهاكها لفظيا او جسديا، كتابة او شفاهة، ثم ان هذا الانحدار بين نقد ومساءلة ومحاكمة عمل فني عبر التشهير بأصحابه انطلاقا من الاختلاف الفكري معهم لا تخدم عملية النقد البناء ولا تفيد الكاتب ولا العمل المنقود بل انها تكرس المفاهيم الخاطئة البنية على نقد الاشخاص بدلا من نقد الافكار والنصوص والممارسات السلوكية والمهنية، مثل هذه الكتابات تعيد تأكيد مطالبات «دعاة حبس الصحفي».

أعداء المرأة والموسيقى

سوالف
اسامة الماجد
osama122@alayam.com

الفن دليل الحرية.. والحرية دليل الحياة!!

يقول الناقد الفرنسي ميشيل سوفر أن حرية التعبير في الفن ضرورة لابد منها ولابد من إباحتها للفن. فالفن لايهدد الحياة . لكنه عندما يكون مهددا فإن المجتمع يتأثر بهذا التهديد. وعندما يكون الفن خاضعا للدولة فإن الحياة نفسها تعاني من هذا الضغط. واليوم، أكثر من أي وقت مضى، تعتبر حياة الفن هي دليل الحرية ، والحرية هي دليل الحياة.

ان كل عمل فني من صنع الإنسان، عندما ينشر ويذاع على الناس، لابد وان يجد المؤيدين والمعجبين به، في الوقت الذي يجد فيه المعترضين عليه والناقدين له. والواقع الذي يجب ان نعلمه هو ان هناك فارقا كبيرا بين مفهوم الفن عند جماعة من الناس وبين جماعة أخرى، ولكل جماعة دعاة وأنصار ، وفريق من المعارضين والأعداء، وهناك فريق ثالث وهو فريق المعتدلين. الجماعة الأولى ترى ان الفن (أفلام ، مسلسلات، مسرح، أغنية) مجرد تجارة وتسلية وشغل اوقات الفراغ بكل مايرضي طبقات النفس البشرية الدنيا، وبما يثير الغرائز ويخطف الأبصار. والجماعة الثانية يرون ان الفن بأنواعه (أفلام ، مسلسلات، مسرح، أغنية) رسالة ، وانه معلم ومرشد ، فيه تسجيل وتبصير وتقييم لكل ماهو جميل في الحياة ، وكل ماهو كريم في الأخلاق ، وكل مايؤكد العلاقات الطيبة والإنسانية بين الناس في كافة أنحاء العالم، وهو بهذا يرضي طبقات النفس البشرية العليا التي يحتاج اليها المجتمع وكل طبقاته ..

كيف لا وتلك الفنون آنفة الذكر تعتبر وثيقة فنية تقوم بمهمة الترجمة والتفسير لجوانب الحياة المختلفة، ومظاهر النشاط الاجتماعي من العادات والتقاليد ، ومن المبادئ والتعاليم التي يتسم بها شعب من الشعوب .

والفنان كما هو متعارف عليه في جميع الحضارات حر لايقبل الا الالتزام النابع من داخله ويرفض التعليمات الموجهة اليه من الخارج ، والتحرر الفني أساس النهضات الصادقة جميعا وحول هذا الشأن يقول المفكر اللبناني الكبير أمين الخولي. (ان الفنان العبد لايمثل مجتمعا حرا، وان الفنان الذليل لايمد مجتمعا كريما، وان الفنان الأسير لايحدو مجتمعا مستقلا).

والفن ثوري بطبيعته ، بكل صنوفه من صامت وناطق ثائر دائما. الفن في أمسه ويومه وغده ثائر دائما. الفن في أرجاء الدنيا كلها ثائبة عنا ودانية ثائر دائما. الفن عند كل الوان البشر جميعا ثائر دائما. الفن على كل لسان رجل او امرأة ثائر دائما. وللفن وظيفة ايجابية في الحياة. ولهذا نجد في الغرب انه لايتصدى للتمثيل سوى من درس التمثيل، ولايتصدى للتأليف الموسيقي سوى من درس الموسيقى. على حين يكاد الجميع يستطيعون كتابة عشرات من الصفحات دون ان يصطدموا بعقبة فنية او هكذا يظنون. ومن واجب الناقد الحق ان يقاوم ظهور تلك العبقريات الرخيصة!!

ويبقى الردح في الزبد وقشور الدين وتوافه الحياة.. صفة تلازم بعض القيمين على شؤوننا الدينية والفقهية من العلماء والائمة والمرشدين والمشايخ.. اما ما ينفع الناس ويفيد المجتمع وينير العقول فانها من الامور التي يمرون عليها مرور الكرام.. والامثلة كثيرة:

وها نحن وقد اتممنا صيامنا وافطرنا.. ولا يزال البعض من ائمتنا يتطيرون مشمرين عن سواعدهم بالبراهين والثوابت الفقهية والاحاديث النبوية بصحة وجوب اليوم الذي صمنا فيه والذي افطرنا فيه.. وآخر يدلل ايضاً بالبراهين والثوابت الفقهية والاحاديث النبوية عكس ذلك!!

فاذا اخطأنا في يوم صيامنا فهذا يعني اننا اخطأنا في يوم افطارنا، مما اثار اللغط والشكوك لدى بعض البسطاء الذين راحوا يكلمون الفرق بصيام يوم ليكتمل صيام شهر رمضان المبارك لديهم.. وقد شهدنا أيضاً معارك متنوعة من الفتاوى مثل رضاع الكبير.. وتحريم التماثيل المجسمة وفق حديث: «لعن الله المصورين» وما يجوز وما لا يجوز في استحمام النساء بالحليب.

والتحريم على المرأة ان ترسل ملابسها للغسيل و«الكوي» خارج منزلها وغيرها.. وغيرها.. من الفتاوى التي ملأت دنيا المسلمين ضجيجاً وشغلت الناس ردحاً من الزمن في توافه الحياة وقشور الدين.. وصدتهم عما ينفعهم ويطور مجتمعاتهم وينير عقولهم!!

ويدفع الاسلام السياسي في تضليل وعي الناس بقشور الدين وابعادهم عن حقيقة جوهره ليتسنى لهم استغلال الجهل الديني لدى الناس ودفعهم وقود مظاهرات واحتجاجات واعتصامات وجرائم ارهاب واستشهاد وتفجيرات وحرائق في قلب الوطن تحت شعار: «الإسلام هو الوطن» ولا وطن الا الاسلام.. ليحترق الوطن وتدب الفوضى ويعم الخراب على انقاض الوطن.. ليسود فوقه «الاسلام الوطن».

ان الخراب المادي للاوطان يبدأ بتخريب العقول والافكار ونشر الجهل والخرافة والتعريفات والشعوذة وتزوير وعي الجماهير بقله الظلام والارهاب والتطرف والقيام بتدمير الحياة المدنية وشل مؤسساتها الديمقراطية ورفض دولة القانون بحجة ان الدولة تدار بالقوانين الوضعية وليست بالقوانين الدينية والسماوية، ويسلط الاسلام السياسي نيران فتاواهم الغرائبية الملتبسة ضد الموسيقى والمرأة.. فمثلاً يرى الشيخ محمد متولي شعراوي ان المرأة: «يجب ان تكون محجبة حتى لا يشك الرجل في بنوة ابنائه منها» وفي ذلك تضمين اتهام شبهة شرف لغير المحجبات.

ويرى الشيخ الشعراوي: «ان عمل المرأة اهدار لكرامة الرجل» ويكرس الشيخ الشعراوي فتاواه الغرائبية ضد الموسيقى والمرأة قائلاً: «الذين ينامون على صوت موسيقى يبتهوفن لا يعرفون الله» وقد هدى – كما يقول – جنياً كافراً إلى الإسلام.. ولا اذكر من القائل بان المرأة غير المحجبة موسيقى الشيطان تغري الرجل للرقص حولها!!

واحسب ان الشيخ الشعراوي في فتاواه يمهد الطريق للمتطرف الذين يملأون ارض الاسلام والمسلمين.. ويذكر لنا الاستاذ مصطفى بيومي في روز اليوسف: «انه يمكن ان تكتمل صورة الشيخ شعراوي في رواية «امريكانلي» كما يقدمها صنع الله ابراهيم فهو يضع الداعية الاسلامي الكبير في اطار اللوحة الاجتماعية ويربط بزوغ نجمه وطبيعة الانقلاب الذي طرأ على المجتمع المصري مع بداية الحقبة النفطية بدأت حمى التغيير على المستويين المادي والثقافي وظهرت قيم جديدة تطالب بـ «الشورت الشرعي» في الملاعب الرياضة وتحرم الفن وتبشر بالزي الاسلامي ولا تخفي الاحتقار للمرأة ودفعت ممثلات إلى الاعتزال بعد ان قام بهدايتهن الشيخ متولي شعراوي الذي صار نجماً تلفزيونياً اثر عودته من فترة عمل في السعودية.. مما يعلنا ان المرأة يجب ان تكون محجبة حتى لا يشك الرجل بنبوة ابنائه منها.. وان خروجها للعمل اهدار لكرامة الرجل وان من ينام على صوت موسيقى يبتهوفن لا يعرف الله.. وفي روايتي «ذات» و«امريكانلي» شهادة ناضجة متكاملة عن الشيخ متولي شعراوي وفيها رصد مشبع وتحليل عميق لظاهرة نجومية الشيخ على المستوى الفردي ولطبيعة المناخ الموضوعي العام الذي أفرز الظاهرة الفردية وساعد على تألقها».

ولم تتوقف حملة الاسلام السياسي ضد الموسيقى والمرأة.. بل تراها تظهر هنا وتختفي هناك.. الا انها مستمرة متواصلة.. وكان روح الشيخ الشعراوي تسعى في انشطة الاسلامي السياسي ولم تكن الاتهامات الباطلة التي تعرضت لها الفنانة البحرينية زينب العسكري مؤخراً الا من الظاهرة التي ما تزال تسعى هنا وهناك!!

صح الناس
اسحاق يعقوب الشيخ

الخراب يبدأ بتخريب العقول والأفكار

جامعة الملك عبدالله تحدٌ جديد للإدارة الحكومية وتقاليدها

شهدت السنوات القليلة الماضية افتتاح اربع او خمس جامعات جديدة الا ان انطلاق الاعمال الانشائية لجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية حظي باهتمام يزيد كثيراً عما حصلت عليه اي جامعة اخرى.

ربما يرجع سبب الاهتمام الى حمل الجامعة لاسم خادم الحرمين الشريفين، وربما لانها ستركز على مجالات من العلوم لا تزال بلادنا فقيرة اليها، وربما لانها وضعت البحث العلمي في صلب اهتماماتها، وهو ايضا من الهموم المؤرقة للباحثين والمتأملين في مستقبل البلد، وربما لانها اقيمت منذ البدء على مفاهيم مختلفة عن تلك التي اعتدناها في الجامعات السعودية الاخرى، مثل التعهد المسبق باحترام حرية التفكير والبحث والتعبير، والالتزام بالكفاءة – لا الجنسية – كمعيار قطعي للتفاضل في القبول والعمل، والشراكة مع المجتمع العلمي العالمي من دون شعور بالقلق على الذات او الفخر على الغير. وربما لانها كسرت القاعدة المعروفة في ايثار المدن الكبرى بالمؤسسات الاستراتيجية حين اختارت منزلها في قرية «ثول» التي لم يعرفها سابقا الا القليل من السعوديين، وربما لان القائم على انشائها هو شركة ارامكو التي يبعث اسمها الامل والاطمئنان في نفوس الناس، خاصة في ظل الكلام الكثير الذي شهدناه هذا الصيف عن نظام التعليم العالي ومشكلاته. وربما لأن رئيس الفريق المكلف بانشاء الجامعة هو الاستاذ نظمي النصر الذي تكشف سيرته الوظيفية عن رجل اظهر جلدا استثنائيا في تحدي الصعاب والايمان العميق بروح الفريق، وهو ما عرفناه في أكثر من تجربة من بينها مثلا انشاء حقل الشيبة البترولي في اعماق الربع الخالي، وهو الحقل الذي جرى استكشافه وانشاؤه ووضعه قيد التشغيل وسط ظروف طبيعية في غاية القسوة، حتى اصبح يضخ اليوم نحو خمسة بالمائة من اجمالي انتاج المملكة من البترول الخام.

كل من الاسباب السابقة يصلح بذاته مبررا كافيا لاهتمام المواطنين والاعلاميين بالجامعة الجديدة، حتى قبل ان تبدأ في العمل الفعلي.

لكني اظن ان كلا من تلك الاسباب هو جزء من الجواب. حقيقة الامر ان الناس يثيرهم ما يشغل انفسهم وما يتطلعون اليه، كل واحد من تلك التبريرات هو تعبير عن أمل تولد عن تصور لمشكلة او عيب او قصور في نظام التعليم العالي، ولعل كل واحد منا قد رأى في ما كتب وما قيل عن مشروع الجامعة شيئا مما يظنه حلا للمشكلة التي تصورها او سدا للقصور الذي وجده.

من هنا فان التحديات التي يواجهها فريق الجامعة كبيرة جدا، لأن الآمال التي علقت على هذا المشروع تفوق ما علق على اي جامعة أخرى.

اود الاشارة هنا الى مثال عن واحد من تلك التحديات يتمثل في المدى الزمني المقرر لانشاء الجامعة. حسب الاعلان الرسمي سيبدأ التشغيل الفعلي في شتاء 2009م، اي بعد سنتين من الآن، وهي مدة غير معتادة لاقامة منظومات بهذا الحجم. فالمشروعات العامة مثل انشاء طريق او جسر يستغرق – على محدوديته – اكثر من هذا الزمن، فكيف بمشروع متعدد الابعاد مثل الجامعة. لكن ما يطمئننا هو ان نجاحات ارامكو السابقة اعتمدت على منهجية عمل مختلفة جذريا عن تلك المعتادة في القطاع الحكومي. وأريد الاشارة خصوصا الى نظام عمل الفريق الواحد المتبع في الشركة، وهو نظام يصبح اكثر فاعلية حين يقف على رأسه رجل مؤمن بروحية الفريق. حين تكون المنظمة فريقا فان الرئيس سيكون اقرب الى المنسق والمنظم وليس الرئيس البيروقراطي الذي ينفق وقته في توقيع المعاملات والاستمتاع بكرسي الرئاسة الذي يجعله اعلى من موظفيه.

قدمت أرامكو أمثلة كثيرة على امكانية تحقيق هذا النموذج، وقدم الشباب السعوديون ادلة كثيرة على قابليتهم للانضواء والانسجام في فريق عمل يركز على اهداف المشروع دون التفاف الى التراتب الاداري او الجوانب الشخصية والثقافية التي يتمايزون بها عن بعضهم البعض، ثمة فارق جوهري بين نظام وروحية الفريق وبين نظام الادارة التقليدية التي محورها شخص الرئيس وآراء الرئيس ومزاجه ونظرته الى كل موظف من موظفيه.

هذه الجامعة، مثل مشروعات ارامكو السابقة، هي برهان على اهلية شبابنا لتخطيط وتنفيذ المشروعات الكبرى، وقدرتهم على استثمار الطاقات البشرية والمالية المتوفرة في بلادنا وفي العالم من اجل تحقيق الاهداف الكبرى. واذا كنا سنستثمر الوفرة الحالية في الموارد المالية في اصلاح نظام الادارة العامة، ولاسيما ادارة المشروعات، فان ما يفعله الشباب القائمون على انشاء الجامعة، هو نموذج لما يفترض بنا ان نفعله في كل مشروع آخر. صحيح ان الجامعة لازالت في مرحلة الطفولة، لكن هؤلاء الشباب كانوا قد قدموا سلفا الدليل على كفاءتهم، وهناك من امثالهم من يقوم على مشروعات مماثلة في الحجم والاهمية. نحن بحاجة الى توفير الفرصة لشبابنا، والاستماع لما يقولون وتفويض الصلاحيات الكاملة، ثم ترك الميدان لهم كي يجعلوا المستحيل ممكنا.

انشاء الجامعة سيكون تحديا حقيقيا لنظام التعليم العالي وتقاليد الادارة العامة في بلادنا. ولنا أمل في ان يتأمل المعنيون في هذا التحدي وان يبحثوا عن جواب لسؤال مشروع: لماذا ينجح اولئك الشباب فيما نفشل فيه؟

د.توفيق السيف
talsaif@yahoo.com

نحن بحاجة الى توفير الفرصة لشبابنا والاستماع لما يقولون